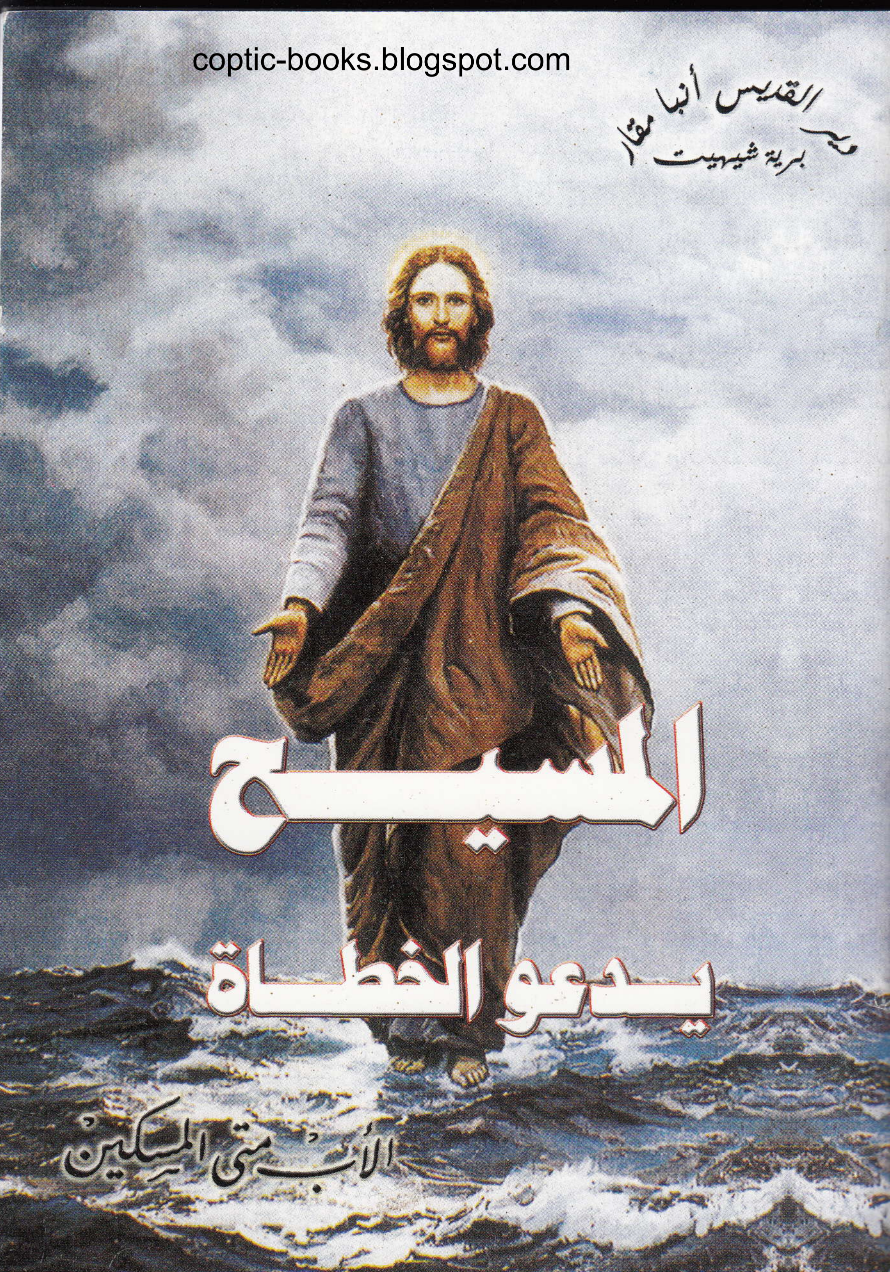

coptic-books.blogspot.com
دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت
المسيح
يدعو الخطاة
الأب متى المسكين

المسيح يدعو الخطاة

اختيار الإنسان منذ الأزل:

كان ولا يزال من صميم اهتمامات الله الآب منذ الأزل وقبل خلقة السموات والأرض، والذي خطط له ودبَّره تدبيراً بديعاً متقناً مذهلاً، مصيرُ الإنسان الذي نوى أن يخلقه على صورته. هذا نكتشفه من رؤية بولس الرسول في رسالته إلى أهل أفسس بقوله: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم**» (أف ١: ٣و٤). ما معنى هذا؟

معنى اختيار الله للإنسان في المسيح:

معناه أن الله الآب رأى أن ينقل كل البركات السماوية التي لابنه الوحيد المحبوب لتحلَّ على الإنسان الذي نوى أن يخلقه على صورته، إذ جعل اختيار الإنسان من اختيار المسيح ابنه، فهو

اختيار مسرَّة، اختيارٌ بَنَوِيٌّ مُذهل! من أجل ذلك يُكمِّل بولس الرسول هذه الرؤية السماوية بقوله: «إذ سبق **فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه**، حسب **مسرة مشيئته**» (أف ١:٥).

فاختيار الله لنا تمَّ على أساس علاقة الابن بالآب، أي هو اختيارٌ بَنَوِيٌّ سابق لخلقتنا لنكون أبناءً لله في دائرة بنوة ابنه، بمعنى أبناء له خاصة، أو خصوصيين له لنفسه، هذا مذهل. ما معنى هذا؟

مستوى بنوَّتنا لله في المسيح:

معناه أن بنوَّتنا لله لها صلة خاصة **بالله نفسه** «للتبنِّي... **لنفسه**»! كما عبَّر عنها المسيح مرة قائلاً: «لأن الآب **نفسه** يحبكم» (يو ١٦:٢٧)، أو يمكن قراءتها للتوضيح: إن الآب يحبكم لنفسه. ولكي يؤكِّد هذا الحب النفسي الذاتي للآب لنا أكمل القديس بولس القول: «حسب مسرَّة مشيئته»، أي أن بنوَّتنا لله داخلة في دائرة مسرَّة مشيئة الآب الخاصة. أليس هذا معناه أن الله قد شاء أن نكون له أبناءً لمسرَّة نفسه، ويكون لنا ذات حب ومسرة الابن الوحيد وبركاته؟ «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرتُ» (مت ٣:١٧).

ولكي يؤكِّد لنا بولس الرسول مستوى بنوَّتنا الخاصة لنفس

الآب وحسب مسرة مشيئته، حدَّد موقعنا الذي سيكون لنا في السماء بعدما تكتمل خلقتنا الجديدة ويتم خلاصنا وصُلحنا في المسيح بالنهاية؛ ذلك بأن يكون وجودنا عنده «**لنكون قديسين وبلا لوم قُدَّامه** في المحبة» (أف ١:٤)، وأن يكون عملنا الوحيد أمام الآب «**لِمَدْح مجد نعمته** التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أف ١:٦)، أو بمعنى أوضح: سنكون خورساً مسبِّحين أمام الله الآب قبل صفوف رؤساء الملائكة والملائكة، نسبِّح ونمدح ونمجِّد إلى أبد الآبدين هذه النعمة التي نعيش فيها الآن التي أنعم بها علينا في ابنه الوحيد المحبوب يسوع المسيح! فالنعمة التي نعيشها الآن في المسيح ستتحوَّل إلى نغم وتسبيح كمقطوعات موسيقية تسبيحية بلغة جديدة ملائكية، كل مجموعة لها تون tone ولها رتم rhythm كمتنوعات يعجز الإنسان عن إدراكها!

هذه الصورة الفائقة المجد والجمال لحالة الإنسان، سبق وأن أعلنها الله للقديس بولس كمؤتمن على أسرار الله؛ فقدَّمها لنا بولس الرسول لندركها ونعيها جيداً قبل أن ندخل في أحزان خلقة العالم وما أفسده آدم بسبب خلقته من تراب الأرض، وسقوطه المُزْري، وخطيته، وعقوبة الموت الأبدي، وأحزانه التي ورَّثها لنا. قَصَدَ الله ذلك وقَصَدَه بولس الرسول ليضع في خلفية إدراكاتنا علاقة الله الآب بالإنسان في

أصلها الأول كما كانت في مسرة الله، وإلى أي حدٍّ تحدَّد منذ قبل إنشاء العالم موضعنا من الله، ودرجة وقوة وسمو بنوَّتنا لله المتقدمة، والبركات المدَّخرة لنا في السموات! لماذا؟ ذلك، لكي ندرك ونفهم أن مرحلة خلقة آدم من التراب والنقص الذي اعتراه كونه من تراب الأرض، والخطية التي تردَّى فيها بأحزانها وأوجاعها وأمراضها وموتها، **لم ولن تلغي البركات** التي تسجَّلت لحسابه من قبل إنشاء العالم، في السماء، ولا الاختيار والبنوَّة والتقديس المحفوظ لنا في السماء لنقف بالنهاية بلا لوم أمام الله الآب لنُسبِّح مجد نعمته التي تسجَّلت لنا في سِفْر الله منذ الأزل والتي أكملها لنا المسيح في هذه الأيام الأخيرة، كل ذلك حتى يستهين الإنسان بأوجاع هذا العمر!

مكان الخطية بالنسبة لاختيار الله للإنسان في المسيح:

أَخرُجُ من هذا التمهيد الرائع الذي قدَّمه لنا بولس الرسول بإتقان مدهش بحقيقة يتحتَّم أن ندركها، وهي أن الخطية حَدَثٌ غير داخل أصلاً في حساب الله من جهة علاقته الممتازة جداً بالإنسان كمخلوق متبنَّى بالحب والاختيار في المسيح، كصاحب كل بركات السماء في الابن الوحيد من قبل إنشاء العالم!! والذي قد تعيَّن منذ الأزل أن يقف أمام الله قديساً وبلا لوم في المحبة لمدح مجد الله!!

وهل استطاعت خطية الإنسان أن تلغي اختيار الله للإنسان في المسيح:

هذا الحب الأثيل الفائق للإنسان، وهذا الوضع الذي تعيَّن للإنسان أن يكون عليه في قلب الله وأمام وجهه من قبل إنشاء العالم؛ لم تستطع خطية الإنسان في آدم بكل ثقلها الحزين وامتدادها المُزري الجاهل أن تلغيه أو تُضعفه أو تعطِّله. هذا كشفه لنا المسيح لَمَّا نزل من حضن الآب ليُخبرنا الخبر اليقين بنفسه، كابن حضن الآب، يُخبرنا بما في قلب الله، واضحاً جليًّا صريحاً بقوله في بداية إنجيل القديس يوحنا: «**هكذا أحب الله العالم** حتى بذل ابنه الوحيد (أي قدَّمه للموت)، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣:١٦).

ومن هنا جاء بذل الآب لابنه:

وهكذا كان حقًّا وبالحقيقة حَرِيّاً بالآب الذي سبق واختارنا في ابنه وسبق وتبنَّانا في ابنه وسبق وباركنا بكل بركة روحية في السماويات في ابنه؛ كان حَرِيّاً به أن يبذل ابنه هذا ليتحمَّل نقص خلقة الإنسان ووِزْر خطيته، ليعيد خلقة الإنسان المخلوق والمختار والمتبنَّى فيه أي في المسيح أصلاً، ليعيد أصلَ الصورة إلى مجدها الأول حسب مسرَّة تدبير الله الأزلي. فلأننا محسوبون منذ الأزل مختارين

ومتبنِّين ومُبارَكين وقدِّيسين في الابن، وضع الله الآب على الابن أن يقوم بعملية خلاص الإنسان وإعادة صورته الأولى المجيدة.

وهنا ندخل في:

صميم علاقة المسيح بالخطاة

بادئ كل ذي بدء، يلزم أن نعلم أن الإنسان في آدم أخطأ كله، ودخلت الخطية ومعها لعنة الموت كل ذي جسد حتى ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض. فلينتبه القارئ أن الإنسان دهمته الخطية، كل إنسان، فالخاطئ هو الإنسان، والإنسان هو الخاطئ. ومن أجل هذا الإنسان الخاطئ **تجسَّد** ابن الله وأخذ شكل العبد وصار في الهيئة كإنسان ليحمل الإنسان، كل إنسان، في جسده؛ ذلك لكي يحمل مع الإنسان خطية الإنسان، كل خطية لكل إنسان!

معاملة المسيح مع الخطاة:

من كل ما تقدَّم نُدرك تماماً أن المسيح قد جاء من أجل الخطاة. فالخطاة كانوا موضوع عمله، وموضوع عمله الوحيد: «صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص

الخطاة الذين أولهم أنا» (١تي ١: ١٥). فكانت علاقته بالخطاة هي مسرَّته، هي هوايته، هي عمله، هي همُّه الأول وعلى مستوى الصداقة الحميمة: «وبينما هو مُتَّكئ في البيت، إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا **واتَّكأوا مع يسوع**» (مت ٩: ١٠)، جلسوا معه وحوله وأمامه، وتزاحموا معاً وهو سعيد في وسطهم. منظر بديع حقًّا ينم عن مدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط الخطاة بالمسيح، إذ اعتبروا المسيح إذا اتَّكأ في بيت أصبح لهم الحق أن يدخلوا كلهم ويتَّكئوا معه كلهم. ما معنى هذا؟

معناه أن المسيح استطاع أن يجعل الخاطئ وهو **أمام المسيح** لا يخجل من نفسه، بل يدوس على خطيته، ينساها، يتجاهلها، وكأنه غير خاطئ؛ لأنه كان يشعر أن خطيته تتلاشى في **حضرة المسيح**، فينجذب إلى المسيح كما ينجذب المريض إلى الطبيب، بل كما ينجذب إلى الله نفسه، ويطمئن إليه كواهب الحياة ويكشف له حاله واثقاً من الشفاء بل من الحياة: «لو كنتَ ههنا لم يَمُتْ أخي» (يو ١١: ٢١)، «لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩: ١٣).

والتوبة في مفهوم المسيح هي رفع وإبطال الخطية: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى» (مت ٩: ١٢). معناه أن الخاطئ

الذي كان يشعر بثقل خطيته وخزيه وخوفه من الله **عندما كان يتقابل مع المسيح** كان يشعر أن الله قد قَبِلَه وعفا عنه، فتقع الخطية تحت قدميه، ويجد في المسيح وفي قلبه وفمه حبًّا وحناناً ولطفاً يُنسيه خزيه، يُنسيه همَّه وحزنه وندمه، فيشعر بالثقة ويتحوَّل الخوف ويتبدَّل إلى دالة. فالخطاة كانوا يشعرون بالفعل بدالة مذهلة مع المسيح، كطفل وقع في الطين فحملته أُمه وغسلته وقبَّلته. فكانت هذه الدالة ترفع عنهم الكلفة، وكانوا يعتبرونه صديقاً وقريباً، هذا اعترف به الأعداء: «محبٌّ للعشارين والخطاة» (مت ١١:١٩).

والسؤال: **لماذا كان المسيح يحب الخطاة؟** هذا واضح مما سبق وقلناه، إذ نعرف تماماً أن الخطاة هم أصلاً الناس الذين اختارهم الله في المسيح قبل إنشاء العالم، وسبق وتبنَّاهم في المسيح وباركهم بكل بركة روحية في السماويات في المسيح.

فالخطاة أصلاً مختارون في المسيح، وأبناء الله في المسيح، ومُبارَكون ومقدَّسون في المسيح. وقد أخذ المسيح من الآب مهمة أن يعيدهم إلى وضعهم الأول. فإنْ كان يحبُّهم فهو يحبهم لأنهم أصلاً أهلاً لحبِّه وحب أبيه، ولكن بعد الخطية استمر يحبهم وظهره مسنود على الصليب الذي سيدفع عليه ثمن عداوتهم ثم صُلْحهم. فالمسيح كان يعمل عملية سرِّية مُذهلة: كان يأخذ عداوتهم التي غرستها الخطية

في نفوسهم ويعطيهم حبه. ففي مجلس المسيح مع الخطاة كانت العداوة تنحل من قلوبهم وفكرهم وأعضائهم، ويحل محلَّها حب إلهي وعطف جارف، فكانوا يجرون وراءه ويسألون عن مكان وجوده ويتدافعون لرؤيته وسماعه أو الجلوس معه، لأنه كان يهبهم راحة قلب وضمير وفكر وحباً وحياة مجاناً: «**وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه**» (لو ١:١٥).

ولكي نُعدِّد أنواع الخطاة الذين وقعوا صَرْعَى لخداع الشيطان وسطوته ونقمته، يلزمنا أن ندرك أولاً:

ما هي الخطية؟

الخطية في أصلها الأول - كعدم طاعة لأمر الله - تفرَّعت إلى آلاف الأصناف والأشكال كخروج علني إرادي من تحت عناية الله وحفظه ورعايته، للدخول فوراً تحت غواية وخداع وسلطان الشيطان. فهي الخروج من **الإيجابية** الإلهية الجاذبة لحفظ النفس والجسد والروح، للدخول في **سلبية** الشيطان للنفور من الله، للفتك بالنفس والجسد والروح بعيداً عن رحمة الله بقسوة منتقم لا يرحم، لإغاظة الله في خلقته التي خلقها حسنة جداً ليفسدها ويعطِّل مشورة الله من جهة خلاصها.

فقد أدخل آدم نفسه وجسده وروحه في دائرة الخطية الملعونة بسبب عدم طاعته لأمر الله من جهة أوامره الواضحة الصريحة، فكانت عدم الطاعة لأوامر الله أساس البلوى المُرَّة التي اكتسبها آدم لنفسه، وورَّثها لذرِّيته. وعدم الطاعة لله كانت نتيجتها المباشرة الخروج من الجنة أي من حفظ الله وعنايته وإسعاده، والدخول تحت سطوة عدو لا يرحم، هو قتَّال للناس منذ البدء وكذَّاب وأبو كل كذَّاب، أبو المكر والخداع والغش، وأصل وأُسُّ **السالبية** بكل أنواعها المُفزعة، **والسالبية** هي ما دون الصفر في كل شيء أي الناقص الدائم!!

لو أردنا توصيف الخطية بأقل وصف، تكون هي **عدم** طاعة أوامر الله. والنتيجة: **الخروج من الإيجابية الإلهية الحافظة، للدخول في السالبية الشيطانية المُخرِّبة.**

وبذلك يمكننا الآن تقسيم أنواع الخطاة على أساسَ عمل الخطية إذا تسيطرت على الإنسان:

١ - **فأول ما تُخرِّب الخطية في الإنسان، تسلبه إرادته الحُرَّة الموهوبة له من الله:**

+ «فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إنكم إنْ ثبتُّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحقَّ (الله)، **والحقُّ يُحرِّركم**... الحق الحق أقول لكم: إن **كل مَنْ يعمل الخطية هو عبدٌ للخطية**. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد. **فإن حرَّركم الابن** (تحرَّرت الإرادة) **فبالحقيقة تكونون أحراراً** (من عبودية الخطية)... **أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتَّالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حقٌّ. متى تكلَّم بالكذب فإنما يتكلَّم مِمَّا له، لأنه كذَّاب** (السالبية المُخادعة) **وأبو الكذَّاب**» (يو ٨: ٣١-٤٤).

واضح هنا أن تملُّك الشيطان، القوة السالبية، على الإنسان، يستذلُّه كأب كذَّاب يود أن يسلبه الحياة حتى يقتله. فأول ما ينزعه منه هو الحق (والحق هو الله). وفي الحال يستعبد إرادته للباطل والكذب والأوهام المُخرِّبة.

٢ - **وباستعباد إرادة الإنسان التي هي قوة الحق المغروسة في الإنسان لضبط كل حركات الفكر والضمير والجسد، تتحرَّك الشهوة بدفع شيطاني لتملك عِوَض إرادة الإنسان.** فالشهوة بكل أنواعها الفكرية والجسدية والنفسية، ترفع قرنها على الإنسان وتستبد به.

الشهوات وأشكالها:

أ - وألعن الشهوات شهوة **فكر العظمة** التي سقط منها الشيطان نفسه. يبدأ يسقيها للإنسان الذي ابتعد عن الله، فيبتدئ الإنسان تظهر عليه **علامات الكبرياء واستعلاء الذات والشعور بالعظمة والمطالبة بالرئاسة والأولوية بين الناس**، ويستحل في سبيل ذلك الادِّعاء والكذب والارتفاع فوق رؤوس الناس ولو بالقسوة والبطش أو بالدهاء والمكر والخداع، حتى يستطيع الشيطان أن ينال بواسطته مراكز السيادة والبطش بالناس. **وهكذا يحصل الشيطان نفسه على الرئاسة فوق الناس بواسطة عبيده المطيعين الذين يركب رؤوسهم**. وهذه الخطية هي ألعن الخطايا، لأنها تتحدَّى الله علانية وبلا حياء، وتُوقِع الإنسان في أسر الشيطان ليعمل بعد ذلك كل القبائح وهو شبه مخدَّر.

ب - **وَيَلي شهوة العظمة والكبرياء في الخطورة شهوة المال**، لأنه ابن شهوة العظمة الذي إذا كبر صار هو العظمة ذاتها. ووصفه بولس الرسول وصفاً دقيقاً مُرعباً بقوله: «أما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومُضرَّة، تُغرِّق الناس في العَطَب والهلاك. **لأن محبة المال أصل لكل الشرور**، الذي إذ ابتغاه قومٌ ضلوا عن الإيمان، وطعنوا

أنفسهم بأوجاعٍ كثيرة» (١تي ٦: ٩، ١٠).

فخطية شهوة محبة المال واكتنازه للغِنَى والافتخار أو لضمان المستقبل من العَوَز، هي خروج عملي من تحت سِتْر الله وعنايته، وهي انتماء كلِّي وصريح بل وتعبُّد لأركان العالم الكاذبة. هذا إذا كان الحصول على المال بالطرق الصحيحة، وهذا شبه مُحال. فالرشوة والانتهازية والغش أساس جمع المال؛ وكذلك تقبيل يد الكُبراء والعظماء في خسَّة وإذلال لنوال الرضا والمزيد من تغميض العين، لمزيد من السرقة والنهب والسلب والاستيلاء على حقوق الغير. لذلك يقول بولس الرسول صريحاً: إنَّ «محبة المال أصل لكل الشرور»، وهذا يكفي ليكون حب المال تاجاً من صنع الشيطان يضعه على رأس خُدَّامه الأوفياء. فإذا انتفخ الإنسان وصار عظيماً بالمال، تبدأ الطعنات من الشيطان والأوجاع الكثيرة التي تنبَّأ عنها القديس بولس لمُحبِّي المال لمزيد من إذلال الإنسان، ليتقيَّأ المال الذي جمعه بالحرام!

ج - **وإن كانت شهوة المال تخطف القلوب، فشهوة النقمة والعداوة تخطف العقول**. فلا يهدأ للإنسان بال ولا يستريح له فكر حتى ينتقم ويتصوَّر أن أخاه الإنسان قد صار عدواً له، لا ينام حتى يستذله. فخطية العداوة أخطر ما يغرسه الشيطان في

قلب الإنسان وعقله، فيطير صوابه، فلا يشفي غليله إلاَّ بتحطيم خصمه أو موته، لا يؤثِّر فيه بكاء أولاده أو نواح امرأته أو ضياع مستقبل أسرته، بل كل هذا يُدخِل الراحة في نفسه! ولو استطاع أن يضرَّه في جسده ونفسه وروحه لفعل، لأن شيطان النقمة والعداوة الذي يدفعه هو نفسه الذي وصفه المسيح أنه قتَّالٌ للناس من البدء، ويستحلُّ في ذلك الكذب وتلفيق التُّهَم ليُحْكِم العقوبة أمام الناس، وكل الناس تعرف أنه كاذب ومُلفِّق وغدَّار ومنتقم، لأن الشيطان لا يهمه أن يخفي أعماله وفظائعه لترويع الناس. ولعلَّ أعظم أعمال الشيطان بين أولاده هي العداوة والنقمة والأخذ بالثأر ليلغي، إن أمكن، وصية المحبة التي جعلها الله من صفاته الخاصة لميراث الملكوت والحياة الأبدية.

د ـ **أما الغضب والحقد فهو ابن النقمة والعداوة الأصغر.**
يبذره الشيطان في القلب والفكر كثورة داخلية يستزيدها قليلاً قليلاً حتى تعصف بكل ملكات الإنسان لتلغي منها التعقُّل والحكمة والهدوء، فيتكلَّم الإنسان بانفعال وعصبية ويهدِّد بأكثر مما يريد أن يقول وأكثر مما يحتمل الموقف، لأن الشيطان يُلهب القلب واللسان لينطق بأكثر مما يستحق الموقف أو المذنب ليثير أحقاد الناس لترتفع درجة الغليان لتبلغ إلى القطيعة أو إلى الاشتباك

بالأيدي والأرجل، لكي تبلغ الحالة إلى اللارجعة في العداوة وتزهق روح المحبة زهقاً، فينتصر الشيطان كسيد الموقف! وتضيع الصداقة والمودة ويخرب البيت ويتشتت الأولاد والزوجة والأصدقاء والمحبُّون وينعق البوم على ما بَنَته المحبة يوماً.

وإذا بات الغضب في القلوب يتحوَّل إلى عداوة وخصام، لذلك حرص بولس الرسول أن يقول: «لا تغرب الشمس على غيظكم» (أف ٤:٢٦). فإن استقر الغضب والغيظ استقر الشيطان واحتل القلوب. لذلك يقول أيضاً بولس الرسول: «ولا تُعطُوا إبليس مكاناً» (أف ٤:٢٧)، لأنه إذا أعطى الإنسان نفسه للغضب مرة ومرتين يكون قد سلَّم نفسه دون أن يدري ليد شيطان الغضب الذي يملك على الأعصاب والفكر ويجعل الإنسان يثور ويستهين بكل شيء "أنا ما يهمنيش، يروح في داهية"، وينكِّد على الجميع لأقل سبب أو ربما بلا سبب. وكم من عائلات خربت وزوجات طُلِّقت وماتت حزناً ونكداً، وأولادٍ تشرَّدوا وفقدوا الأهل لسبب غضب الزوج الأحمق أو الأب الجاهل.

وخطية الغضب تبدأ منذ الطفولة المبكِّرة كغريزة حيوانية يستخدمها الطفل لينفِّذ مشيئته، فإذا لم يُقمَع بشدة يشبُّ إنساناً غضوباً فيستلمه الشيطان ليُعلِّمه فن ثورة الغضب وتحطيم كل ما

تصل إليه يداه، لينتهي به المطاف إلى إنسان مخرِّب لكل العلاقات، لا يحتمله إنسان ولا يحتمل هو إنساناً، عدو للناس ولنفسه! ألم نقل إن الغضب ابن العداوة المدلَّل؟

هـ – **أما نسيب الغضب فهو الحقد والحسد.** فإن كان الغضب ينفِّس عن نفسه بالقول والفعل للتخريب، فالحقد والحسد يُدفَن في أعماق النفس والضمير ولا تظهر له أقوالٌ أو أعمالٌ إلاَّ نادراً وبصورة مكتومة. وإن كانت خطية الحقد على الآخرين تبقى مكتومة إلاَّ أنها تنفجر أحياناً فتسيء إلى الآخرين بلا سبب ظاهر، ويظل الحاقد مختفياً ولكن لا يطول اختفاؤه، إذ يأكل الحقد صدره فتبدو أعماله الحاقدة موضع اندهاش الناس لأنها تكون بلا تعقُّل ولا سبب، لأن الشيطان يكون قد أوغر صدره بتهيُّؤات غير صحيحة تصوِّر فريسته كغريم أو منافس لا يطيق منظره أو وجوده، فيسعى للتخلُّص منه بكل الطرق.

أما الحسد فهو سر الشيطان الدفين الذي يملك على عيني الإنسان الظاهرتين وعينه الثالثة التي بين عينيه في جبهته التي يعتقد فيها جيداً متصوفو الهند الذين يقولون إنه تخرج منها موجات مغناطيسية، إما نافعة أو ضارة. هاتان العينان يملكهما الشيطان ويستخدمهما لضرر مَنْ تقع عليهم نظرتها، فلا يبيت المحسود إلاَّ

وقد أصابه الضرر بصورة مباشرة مذهلة لأنه عمل شيطاني خفي. فالحسد فعل شيطاني مؤثِّر قد يحسُّه ويدركه الحسود نفسه وقد لا يدركه، فيعمل به الشيطان دون مشيئة منه، ولكن هذا الإنسان المغلوب بالحسد والغيرة يكون قد سبق وأعطى إبليس في نفسه مكاناً في قلبه وضميره بالغيرة المفسدة.

و – **وهناك خطية يرتكبها بعض المسئولين عن مصائر وأرواح الناس تُحسب بحد ذاتها تقمُّصاً لقوى الشيطان بمعنى الكلمة،** وهي التلذُّذ بتعذيب الناس وإيذاء مصائرهم والتنكيل بالآخرين بلا تعقُّل حتى إلى القتل!! التي هي صناعة الشيطان منذ البدء، تبدأ في الطفولة بحب تعذيب الحيوانات وقتلها. وهذه الخصال تنم عن استعداد للدخول في هذه الخطية على مستوى تعذيب أرواح الناس وقتلهم، إن طالت ذلك أيديهم كالملوك والأباطرة الذين نكَّلوا بالمسيحيين الشهداء بالقتل والحريق وافتراس الوحوش. هذه الخطية من أشنع مخترعات الشيطان التي حارب بها المسيح والمسيحية.

ز – وأخيراً لكي نُنهي هذا المسلسل المُفزع، تأتي **شهوة النجاسة.** فسلطانها أشد سطوة على النفس من شهوة المال، لأن فخر الإنسان ومجده الذي ورثه من الله هو القداسة والعفة وطهارة النفس والجسد، هذه كلها تكون تحت عين الشيطان باهتمام ليخلع

عن الإنسان ثوب القداسة والعفة والطهارة، بل وثوب الآدمية، لُيجرِّده من فخره ومجده وقُربه من الله، فيسوق عليه شهوة جامحة نحو النجاسة بكل صورها الدنيئة الحيوانية التي ذكر بولس الرسول بعضاً منها بكل حزن وأسى لأنها ترفع عن الإنسان صورة الله التي خُلق بها، وفي الحال: «أسلمهم الله إلى أهواء الهوان (= shameful lust = عار الشهوة)» (رو ١:٢٦). **وعار الإنسان هو شهوة النجاسة**، كل هذا لأن الإنسان قد رفض أن يُبقي الله في معرفته: «وكما لم يستحسنوا أن يُبقُوا الله في معرفتهم، **أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق**» (رو ١:٢٨)، أي ليدخل الإنسان في شذوذ عقلي جنسي، فينحط إلى ما دون الحيوان.

نعم، وَلْوِلي يا بشرية على صورتك الإلهية البهية التي انحطت إلى مستوى الكلاب والخنازير والقرود، وورثت أمراضاً فتّاكة ليس لها شفاء. فمرض البشرية الجديد المُسمَّى "إيدز" أصله حيواني في بعض القردة في أفريقيا، ضاجعها شبان مثقّفون من أُمة غنية في حماقة النجاسة، فنقلوا منها مرضها المتوطِّن. وهكذا انتشر في جميع أنحاء العالم، والموت بالملايين، ولا شفاء.

تعامُل المسيح مع الخطية:

قلنا إن الخطية في أصلها الأول عدم طاعة أمر الله التي سقط

فيها آدم أبو جنسنا. فرأى الله أن يشفي الإنسان من هذه الخطية المميتة ولعنتها، فبذل ابنه الوحيد ليكون ذبيحة خطية يُقدَّم على صليب اللعنة والعار بعد أن يتجسَّد بجسد إنسان وهو حامل كل البشرية وخطيتها في جسده على الصليب. **فاستجاب الابن وأطاع أمر الله الآب حتى الموت موت الصليب، ودُفن في القبر لثلاثة أيام ليُكمل كل عقوبة الخطية في جسده.** ولكن لكونه ابن الله القدوس الأوحد، ولأن لاهوته لم يُفارِقه على الصليب ولا في القبر لأن ذبيحته كانت ذبيحة إلهية وبشرية بآنٍ واحد، ذات قوة وسلطان للتكفير عن أصل الخطية وجذرها المميت؛ لذلك تأهَّل ابن الله المتجسِّد للقيامة من بين الأموات بمجده ومجد الآب، حاملاً البشرية كخليقة جديدة **مبرَّرة ببر طاعة الابن الوحيد لله الآب، أي مبرَّأة من الخطية والموت الأبدي، خطية عدم طاعة آدم وذريته وعقوبتها بموت اللعنة.** وتصالَح الإنسان وهو في حالة قيامة وتبنٍّ لله في المسيح ومتَّحداً بجسده مع الآب، واستعاد صورة الله ومسرَّة مشيئة الآب التي فيه حسب تدبير الله قبل خلقة العالم.

وما معنى هذا؟

معناه أن كل مَنْ يؤمن بتجسُّد المسيح ابن الله وطاعته المطلقة للآب بموته على الصليب ودَفْن القبر والقيامة لتكميل عقوبة الإنسان؛

يكون قد خلص نهائياً من قوة خطية آدم وعقوبتها بالموت واللعنة، ونال قيامة جديدة بخلقة جديدة في جسد المسيح، **منزَّهة عن أي خطية، وغير قابلة للموت بل وارثة للحياة الأبدية مع الآب** والمسيح.

الاستعلانات المُسبقة التي صرَّح بها المسيح قبل الصليب، عن سحق الخطية الأولى ورفع عقوبتها:

على مدى خدمة المسيح الكرازية لثلاث سنوات ونصف كان المسيح يكرز بالحياة الأبدية التي تجسَّد ليهبها للإنسان في مضمونها العملي بمغفرة الخطايا ورفع عقوبة الموت. فكل مريض بأي مرض، وكل أعمى ناقص البصر، وكل مشوَّه الجسم بأي صورة؛ شفاه المسيح بكلمة آمرة: أنْ غُفِرت خطاياه؛ بل وأَمَرَ الميت بالخروج من القبر فقام. فأعلن بذلك أن الخطية الأولى هي العلة الوحيدة التي تسبَّبت في جميع أمراض الإنسان وتشوُّهاته وموته، فلما رفعها بسلطان ألوهيته وظهره مسنود على الصليب الموضوع أمامه؛ شفى الإنسان في الحال، وأقام الميت من بين الأموات حتى ولو كان قد أنتن في القبر لأربعة أيام. ما معنى ذلك؟

معناه أن الابن الوحيد المحبوب قد خلق الإنسان الجديد في جسده ومن جسده مرة أخرى، بلا خطية ولا عقوبة موت أبدي

بموته وقيامته، وأصعده كالتدبير في جسده الذي ارتفع به إلى أعلى السموات، وأجلسه معه عن يمين أبيه، ليكون شريك مجد وحياة مع الآب والابن. ولكي ينبِّه المسيح ذهننا بصورة قاطعة حاسمة قال قولته وقبل الصليب أنَّ: «كل خطية وتجديف يُغفر للناس» (مت ١٢: ٣١). ما معنى ذلك؟

معناه أن في المسيح وبالمسيح **قد سُحقت الخطية سحقاً وباد الموت إبادة؛ فلا خطية تقوى على الإنسان الذي آمن بالمسيح واتَّحد به، وأنَّ مجال التوبة قد انفتح على الإنسان بلا قيد ولا شرط، وانفتح معه ملكوت السموات، كل مَنْ اعترف بخطاياه من كل القلب وكل النفس وكل القدرة، وعِوَض الخطية حلَّ في النفس حب الله والمسيح من كل القلب وكل النفس وكل القدرة. وبهذا صارت جميع الخطايا التي عدَّدنا صورها البشعة في خبر كان، وكل الخطاة في أقبح صورهم التي عدَّدناها صاروا مهيَّئين ليكونوا، ليس فقط أبراراً، بل وقديسين وقديسات وأهل بيت الله؛ إنْ هم أقبلوا على الاعتراف بخطاياهم وتابوا توبة قاطعة، وارتبطوا بصليب المسيح وماتوا وقاموا بالإيمان الحي بموت المسيح وقيامته، وصاروا من التابعين الحاملين صليب إنكار الذات وطاعة الحق إلى النفس الأخير.**

تعقيب عن:

معنى جسدنا العتيق والأعمال الميتة:

أما تلوُّثات الجسد العتيق الذي لا زلنا نلبسه، فهو كما قال بولس الرسول: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِب معه ليُبْطَل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية. لأن الذي مات قد تبرَّأ من الخطية» (رو ٦:٦و٧). ما معنى هذا؟

معناه أن جسدنا العتيق الآدمي الذي أماته المسيح على الصليب لنا، ودفنه معه، لم يَعُد عبداً للخطية، والخطية لن تستعبده. فقد بطل فعله لأنه مات موتاً نهائياً أمام الله بالصليب، ثم قام لَمَّا قام المسيح بالجسد الجديد الذي نعيش به أمام الله في نعمة المسيح التي فيها نُقيم الآن. ما معنى هذا؟

معناه أن الخطية وإن كانت تعمل في الإنسان العتيق بغير إرادتنا وغير رضانا كقوة غريزية قهرية كأثر من آثار تسلُّط الشيطان - المهزوم - على الجسد الآدمي الأول، فهي باطلة، أي بَطَل مفعولها ضد خلاصنا، وقد أبطلها المسيح بقوة الحياة الجديدة التي تعمل في خلقتنا الجديدة.

علماً بأننا لن ندخل الملكوت بجسدنا العتيق المصلوب الميت المُهلهل، بل بجسدنا الجديد المُبرَّر القائم مع المسيح المخلوق على

صورة خالقه في المجد وقداسة الحق. ولكي يضمن الروح القدس لنا هذه الحقيقة وهذا الوعد، نبَّه بولس الرسول لكي يقول قولته المشهورة ذات الفاعلية الفائقة الوصف في إراحة ضميرنا: «فكم بالحري يكون **دم المسيح، الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب، يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي**» (عب ٩:١٤). ما معنى هذا؟

معناه أن "**الأعمال المائتة**"، وهذا هو أصدق تعبير عن أعمال الخطية التي تعمل في الجسد العتيق كجسد ميت لا قوة له، هذه الأعمال الميتة تعمل فينا بغير رضانا وبنوع من القوة الغريزية القهرية، ومظهرها آثار تسلُّط عادات وأفكار عاش تحت ثقلها الجسد العتيق مُسيَّراً غير مختار؛ ولكن لن يكون لها أثر سلبي على ضمائرنا كأنها قادرة أن تلوِّث الضمير بالندم أو تحزنه في وقفتنا أمام الله. بل نخدم الله بالتسبيح والفرح لأن فعل دم المسيح للتطهير والتقديس والحياة الجديدة، يتغلغل لا الجسد فقط بل الروح والنفس والضمير، فنحيا أمام الله كخراف أنقذها المسيح من فم الذئب وعليها جروح أنيابه، ولكنها شُفِيَت وأصبحت غير مميتة، بل وأصبحت كشهادة نجاة.



وتعقيبٌ أخير نقوله بالأسى والحزن، لك أيها القارئ، كنتَ مَنْ كنتَ:

إنَّ مَنْ استكثر على نفسه التوبة واستعظم عليها، واستكثر على نفسه الاعتراف بخطاياه، وأخفى خطيته في قلبه وضميره وداري عليها ودارت عليه الجدران والأبواب المغلقة، وأخفاه الأصدقاء وتستَّر عليه الأعوان والشركاء؛ فهو واقعٌ في وَهْمٍ، وهذا بذاته خطية أعظم من كل خطاياه. لأن في الدينونة ستكون العلانية، حيث تُفضح أسرار القلوب والضمائر أمام الملائكة والقديسين، وتنكشف أعمال التعدِّي على القداسة وعلى الدم الثمين، وتُستعلَن أعمال الازدراء بالحق والإيمان، والدوس على الصليب والاسم المخوف؛ حيث تُعرف كل المخازي، وتُستعلَن أعمال الزنا والنجاسة والفجور والسرقة والاختلاس والنقمة والقسوة على عباد الله وتحطيم نفوس أولاد الله الأبرياء، ويكون إعلانها واستعلانها بصورة دائمة وأبدية، يعيش في جحيمها أصحابها، يأكلهم الندم والحسرة إلى الأبد. فالخطية تُقترف في لحظة أو ساعة أو بعض الساعة، وفضيحتها هناك دائمة وأبدية، ولا شفاء منها!

فإليك، يا قارئي العزيز، كنتَ مَنْ كنتَ:

تُبْ ولا تستكثر على نفسك التوبة،

واعترف بخطاياك،

تنجو من الدينونة العتيدة.